سيرة الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم
ختم النبـــوة .. ونـــور الرسالة

بقلم : محمود جابر
جمهورية مصر العربية

على سبيل المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علـــى أشـــرف الأنبيـــاء المرسلين وخاتم النبيين حبيب اله العالمين ابي القاسم محمد صلى الله عليـــه وآله وسلم وعلى آله الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم ، وأفتح علينـــا أبواب رحمتك وأنشر علينا خزائن علومك ومعرفتك " .

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد : " **بسم الله الرحمن الرحيم – ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** " .

نقف عند فقرة من هذه الآية الشريفة وهي قوله تعالى "وخاتم النبيين" الخاتمية تعتبر من القضايا الضرورة في الاسلام، والمراد من ضروريتها هو وضوحها الى حدٍ ينتج عنه القطع واليقين عند جميع المسلمين بصوابية وحقانية هذه القضية، فختم الرسالات برسالة الرسول الكريم محمد (ص) امر لا يمكن ان يتطرق اليه الشك، بل ان كل مسلم يدين بالاسلام ديناً لا يعتقد بخاتمية الرسالة الاسلامية فانه منكر لضرورة من ضروريات الدين ومكذب للقرآن الكريم وللرسول (ص) ، فما من احد يؤمن برسول الله وبالقرآن الذي انزل من عند الله الا ويلزمه الايمان بخاتمية الاسلام وعليه فانه يؤمن بعالمية رسالته صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ولذلك فان هذا البحث محل النظر والتداول يبحث في عالمية الرسالة وتجددها، وهو الامر الذي تركه الناس ومن ظهر الخطأ والشقاق بين المسلمين وظهرت دعوات التكفير، والسبب هو التفريق بين العالمية التي تعني مخاطبة اجيال متجددة ومستمرة واناس مختلفي العادات والتقاليد واللغات واللهجات، وهذا لا يستقيم الا بتجدد الرسالة من خلال التزام منهج العترة من ال البيت ومتابعتهم وحبهم واقتفاء اثرهم سلام الله عليهم.

وبعد الحادثة الاليمة التي تعرضت لها أمتنا ممثلة في الاساءة لنبيها الكريم صلى الله عليه وسلم ، التفتّ الى مكتبتي باحثاً عن كل ما كتب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله. كنت قد اطلعت على كتب كثيرة في السيرة وأعلم انها شيقة لكن وجدت جلها قد أغفل دور العترة في الاسلام (العالمي) ودور عترته صلى الله عليه وسلم، ثم اطرقت افكر ، ماذا لو درسنا السيرة بهذا الشكل وعلى هذا النحو؟ من المؤكد اننا لن نجد نماذج خاطئة. ذلك ان

في السيرة (التي هي سيرته صلى الله عليه وآله وسيرة عترته من الامام علي ابن ابي طالب وحتى الامام الحجة عجل الله فرجه الشريف) اموراً دقيقة هي المخرج لكل فكر منحرف ربما ينشأ في حالة الجهل بمثل هذه الامور. لقد كنا نقرأ السيرة بجانب الحروب والمغازي وهذا خطأ . إذ ان الجانب العسكري من سيرة النبي الجانب الاقل. بل انه منهج حياة متكامل.

إنّ حياة النبي صلى الله عليه وسلم بكل دقائقها وبكل لحظاتها وبكل تفاصيلها اهم ما يجب ان نربي عليه ابناءنا . واهم ما نواجه به مشاكلنا سواء الامنية او الاخلاقية او السلوكية.

إنّ السيرة هي نقطة الضوء على مسرح الحياة المظلم من حولنا، لان ما قبلها معتم وما بعدها معتم، اذ انه لاول مرة في التاريخ نحصل على وثائق تتناول سيرة شخص واحد بكل تفصيلاتها بدءاً من مولده ومروراً بعباداته وطريقة ممارسته لحياته الاسرية والاجتماعية والاقتصادية، فالسيرة منهج حياة متكامل السيرة قصة عظيمة لأعظم شخصية في هذا الكون.

إن شئت ان تحل قضايا الامة ستجد في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الحل، إن واجهتك مشاكل سلوكية واخلاقية وجدت في السيرة الحل . ان واجهتك مشاكل اسرية او بحثت عن حقوق المرأة وجدت ذلك في السيرة . ان بحثت عن الصفات والفضائل وحقوق الانسان والحيوان والجيران بل والشارع والطريق لوجدت كل هذا في السيرة .

ان السيرة تعلمك معنى حب الوطن والمواطنة الحقة وتبعث مشاعر الحب للوطن والتعلق بالارض. فالسيرة منظومة شاملة لكل نواحي الحياة، العلم والاعجاز العلمي فيها، احكام السياسة وانظمة الاقتصاد واسس الاجتماع، اساليب سلوك وطرق تدريس وتربية وعلم نفس واخلاق واحكام فقهية واسباب نزول وسير صحابة ومعارك وغزوات وفنون الحرب والقتال

وآداب الحرب ومعاملة الآخر والتفاوض والصلح والسلام. بل فيها طريقة الحوار والادب والنقاش مع الآخر سواء كان يهوديا او نصرانياً او منافقاً .

بل ان في السيرة اعجازاً علمياً ، وهاهو العلم كل يوم يكشف سراً من اسرار الحياة أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قبل ١٤٠٠ سنة ، فأي كتاب عظيم كتاب السيرة، ففي كل يوم يكشف العلم ولا يكتفي مكتشفوه بزم الشفاه والتعجب بل انهم يعتنقون هذا الدين بقناعة.

مشكلتنا الاخرى اننا ندرس السيرة مبعثرة، اسباب النزول في مصنف والمواعظ في مصنف، والاحكام في مصنف، ثم نغفل دراسة سيرة عترته وهي السيرة المجددة للاسلام والعاصمة من الازمات والانحرافات والشتات الفكري. هذا التشتت اوجد بعض الصعوبة في استيعاب السيرة والربط بين اجزائها, نحن بحاجة لان نفهم الحكمة من تصرفاته صلى الله عليه وسلم وفق حيثيات الحديث نفسه.

والشاهد اليوم يدرك ان دراستنا لهذه السيرة العظيمة دراسة مفككة ولم نخرج منها بفائدة لنا ولحياتنا. بل اننا وللأسف نواجه احداثا مشابهة لاحداث السيرة. لكننا لا نستطيع الارتقاء لمستوى الحلول التي طرحتها السيرة. اذ اننا لانملك الرؤية الكلية للاحداث التي صارت في عهده صلى الله عليه وسلم. وعلى سبيل المثال واجهتنا الكثير من الازمات التي لم نتعامل معها كما تعامل النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**.

لا يجب التركيز في مناهج السيرة على التعامل مع الآخر فقط ، بل سيرة النبي هي التعامل مع الكون والحياة والحيوان والطبيعة ومع الذات ولا يمثل الآخر الا جزءاً بسيطاً.

ان المحققين في السيرة النبوية وجدوا ان سيرة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** في كتب الحديث تعادل اكثر من ٨٠% بينما ٢٠% لكتب المؤرخين.

لا يمكن الاعتماد اطلاقاً على كتب التاريخ الا اذا كانت بسند، نريد سيرة نقية احاديثها صحيحة منقحة. ومن الضروري ان توثق السيرة وتراجع احاديثها ويستبعد اي حديث لا سند له او حديث ضعيف. ولكن كيف سنقدم السيرة؟ هناك كتب ومؤلفات كثيرة في السيرة منها ابن اسحاق وابن هشام وابن سعد وابن كثير ومن اهم الكتب كتاب دلائل النبوة للبيهقي الخ.

وفي هذا البحث سوف نعتمد محورين رئيسيين وهما :

الاول : عالمية الرسالة المحمدية وانها رسالة لكل حي منذ بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وحتى قيام الساعة.

الثاني : تجديد النبوة، بما ان هذه الدعوة عالمية وانها منذ بعثته **صلى الله عليه وآله وسلم** فانها تتطلب التجدد والمعاصرة وفق الاحداث المتجددة ، ولكن على منهج النبوة والذي لا يمكن ان يكون صحيحاً وصواباً ، الا وفق منهج العترة الطاهرين عليهم السلام، والذي يساوي تركها تخبط في دوامات القال والقيل، وروى وحدثنا، حتى يقتل المسلم قربى الى الله !!

من هنا ومما سبق ومما هو آت كانت هذه الدراسة.

المحور الاول: عالمية الرسالة المحمدية

كثيرة هي النصوص القرآنية الكريمة التي تحدد بدقة متناهية وظيفة ومقصدية دعوة رسولنا الكريم، المبعوث رحمة للعالمين أجمعين سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم، هذه الدعوة استثناء أو تخصيص. قال تعالى :

[وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون].

{ سورة سبأ ، الاية ٢٨. }

وقال تعالى:

[تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا].

{ سورة الفرقان ، الاية ١ }

وتؤكد كثير من الآيات على عالمية رسالته كما في قوله تعالى :

[قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً].

{ سورة الاعراف ، الاية ١٥٨ }

وفي قوله تعالى:

[إنْ هو إلاّ ذكر للعالمين * ولتعملن نبأه بعد حين].

{ سورة ص ، الايات ٨٧ – ٨٨ }

لقد بعث محمد هادياً وداعياً الى الحق وسراجا منيرا مستنيرا بتوجيهات ربه الذي ارسله بالهدى ، قال تعالى :

[هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون].

{ سورة الصف ، الاية ٩ }

ودليله في هداية القرآن الكريم للناس اجمعين ذلك الوحي الالهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لانه كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الابصار والبصائر، وانه لا طريق الى الله سواه، ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج الى تقرير ولا استدلال عليه لانه معلوم من دين الامة.

{ الموافقات للشاطبي ، ٣/ ٢٥٧ }

ولما جاءت دعوته شاملة لكل الناس جاءت رحمته ايضاً شاملة لكل الناس ، قال تعالى : [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] { الانبياء ، ١٠٧ }

ولقد أكد هذه العملية في حديث رواه جابر ، ان رسول الله قال :

" أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل ابيض واسود، واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد من قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا .. "

ومن مظاهر عالمية دعوته : رسائله الى الامراء والملوك التي يدعوهم فيها الى الاسلام لما رجع من الحديبية كتب الى الروم وفارس والحبشة وغيرهم يدعوهم الى الاسلام، فبعث بكتبه مع رسله اليهم وخرج على اصحابه ذات يوم بعد الحديبية فقال لهم :

" إنّ الله بعثني للناس كافة. وامرهم ان يؤدوا عنه ونهاهم ان يختلفوا عليه كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ".

فبعث ستة رسل حيث ارسلوا كلهم في يوم واحد . واول الرسل عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة فاسلم وحسن اسلامه. وثانيهم دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه وضن به فلم يسلم ، ولما قرأ كتاب النبي طواه ثم رفعه وعظمه فروي ان النبي قال فيه : ثبت ملكه [ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ٢٥٨] وثالثهم عبدالله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس فلما قرأ كتاب النبي مزقه فدعا عليهم ، ان يمزقوا كل ممزق [السابق ، ٢٨٨]. ورابعهم حاطب بن ابي بلتعة اللخمي الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية واسمه جريج ابن مينا فاكرمه وبعث الى النبي بجاريتين وهما مارية بنت شمعون ام ابراهيم واختها سيرين . وخامسهم شجاع بن وهب الاسدي الى ملك البلقاء الحارث بن ابي شمر الغساني [الزيلغي، نصب الراية ، ٤/ ٤٢٤]. وسادسهم سليط بن عمرو القرشي الى هوذة بن علي ملك اليمامة فلم يسلم [الدمشقي ، اعلام السائلين ، ٣٨٤] .

ان رسالة الاسلام تحث على تعميق التساكن والتعايش السلمي العالمي بين ابناء الشعوب عن طريق الاندماج والانصهار والتعارف بما يفضي الى اسعاد بني البشر والتسليم المطلق لله الواحد القهار وهو القائل سبحانه [وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم].

{ الحجرة ، الاية ١٣. }

وقيم الاسلام المثلى تصلح لكل زمان ومكان وتنصهر مع التصورات والافكار الجديدة التي انتجها عصر العولمة والتكنولوجية الحديثة ومبادىء الديموقراطية والحداثة المبنية على ثقافة الحوار وقبول الآخر قال تعالى:

[تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا].

{ سورة الفرقان ، الاية ١ }

غير ان هذه الاطروحات الجديدة اذا افرغ محتواها من تلك الروح الربانية الخلاقة ، فشلت في اداء وظيفتها، وذهبت ادراج الرياح. من هنا فأسمى ما ينبغي ان تقدمه هذه التصورات هو اسعاد الانسانية وخلق اجواء التضامن والمحبة والتعايش وطرد الظلم والاستبداد والانا. وبلوغ هذه الاهداف رهين بالتمثل بروح الاسلام وقيمه لأن الحياة لا يمكن ان تدب في الانسانية الا بوحي من الله وروح منه كما ذكر في قوله تعالى :

[يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم].

{ الانفال ، ٢٤ }

وقوله تعالى :

[وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان].

{ الشورى ، ٥٢ }

فكلمات الله التي لا يسعها مداد بحار الدنيا هي القادرة على بعث الحياة في كل امة موات. لان مفهوم الحياة هو خلق التوازن بين المادة والروح لكن ما نأسف له في ازماننا وبخاصة في المجتمعات الاسلامية هو

هذه بعض رسائله الى الملوك في مختلف بقاع العالم هي اكبر دليل على عالمية رسالته، وانها وصلت في عهده الى الاقطار والدول عبر سفرائه ووزرائه رضوان الله عليهم وهم صحابته الكرام. فهي بذلك رسالة : امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الامم وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة ...

فالاسلام جاء لاصلاح المجتمع وسياسة الدولة وبناء الامة ونهضة الشعوب وتجديد الحياة تماماً مثلما انه عقيدة وشريعة ودعوة ودولة وسلام وجهاد وحق وقوة وعبادة ومعاملة ودين ودنيا.

ان رسالة الاسلام هي رسالة عالمية موجهة للبشرية جمعاء لانها تأمر المسلمين بمكارم الاخلاق وبالتسامح والاخاء والتعاون على اساس ان البشرية تشكل وحدة انسانية متكاملة { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام } { النساء } . لاجل ذلك اخترقت الرسالة المحمدية الحدود الزمانية فامتدت خمسة عشر قرنا من الزمان وستبقى خالدة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو القائل سبحانه [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] واخترقت ايضا الحدود المكانية فامتدت عبر مشارق الارض ومغاربها ، واحتوت كل اللغات فأسلم العجم والعرب. واخترقت الكثير من المعتقدات فآمن كثير من اليهود والنصارى وأصحاب العديد من الديانات الوثنية . واخترقت الحدود النفسية حين حصحص الحق بأحقية الاسلام ، وبطلان ما سواه كل ذلك لانه دين العدل المطلق والتسامح المثالي الذي يدعو الى الحوار المستمر والهادف مع الايديلوجيات والمعتقدات لاجل بسط صورة الوسطية المتمثلة في مبادىء الرسالة المحمدية رسالة الكون أجمع.

ذلك التأثر العميق بالماديات والتسابق نحو تحقيق الذات بالصورة المادية غافلين الجانب الروحي لهذه الذات التي لا يمكنها ان تعيش منفصلة عنها . وازكى ما ننعش به ذواتنا هو تقوى الله عز وجل والامتثال لاوامره واجتناب نواهيه وقد اثبت الطب النفسي الحديث ان الانسان الذي يعيش حياة مؤمنة تقية طاهرة بطهارة الاسلام ينعم بنفس مطمئنة هادئة، لا تصيبه حالات الاكتئاب النفسي او بعض الامراض المتفشية كمرض الصرع او انفصام الشخصية، فالاعتقاد بالله واشباع الروح بالايمان القوي يملأن قلب المؤمن ويجنبانه كل العاهات النفسية التي تحبط كيانه النفسي مصداقا لقوله تعالى:

[ألا بذكر الله تطمئن القلوب].

{ الرعد ، ٢٨ }

بينما النفس الامارة بالسوء تكون مريضة يعتريها الخوف الدائم والارتباك المدمر. والحفاظ على الشعائر الدينية يقوي القدرة على التحكم في الغرائز، ويمنع الدوافع التي تكسر الحدود الاجتماعية للسلوك، فهي بذلك موانع قوية لدوافع منزلقات اخلاقية.

والدين الاسلامي يقوي دعائم المجتمع ويجعله الاصل بينما الافراد هم مكونات هذا المجتمع ومنهم تتشكل لحمة الكيان الانساني، قال رسول الله : [مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى] .

والانسان يمتلك دوافع بيولوجية واجتماعية ونفسية ، وباعتبار الاسلام دين الفطرة جاء بضوابط تضبط وتقدر هذه الاشياء بحسب حاجة الانسان اليها وبحسب منظومة الضر والنفع القائمة على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، لان من مقاصد الدين الاسلامي الكبرى الحفاظ على الدين والعقل والنفس والمال والعرض واعتبار المصالح المرسلة التي تفسح مجالا اوسع للعمل والانتاج وفق مرضات الله عز وجل، هذا الدين الاسلامي الذي حمله

نبينا محمد (ص) ، الى الانسانية يحمل تصورا نحو الانسان باعتباره مخلوقاً مسؤولا مكلفا امتزجت في تركيبته الخلقية نفخة من روح الله وقبضة من طين الارض . هذه النفخة الروحية هي التي تدفع لا محالة كل انسان الى الشوق نحو اصله وفي هذا المقام يقول عز وجل في محكم تنزيله:

[ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله]

{ العنكبوت ، ٦ }

وان تشكل صورة صحيحة للمعرفة الحقة لاصل هذا الكون تكون باستخدام ادوات المعرفة اللازمة من سمع وبصر وفؤاد:

[والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون].

{ النحل ، ٧٨ }

٢. تجليات انسانية رسول العالمين :

إنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، واحد من البشر ، خرج الى الدنيا عن طريق نكاح وانجبته امرأة بعد الاشهر التسعة للحمل، قطع مراحل الصبا والطفولة والشباب وسعى في الارض طلباً للحياة كسائر بني البشر. لم يكن صاحب جاه ولا مال ولا سلطان ، بل كان صاحب فضيلة وصدق ومحبة في الارض بين ذويه، اجتمعت له عناصر القوة والامانة وحظي باحترام الصغير والكبير من اهل الجزيرة العربية, له نسب شريف وعريق يمتد الى ولد عدنان وهو واحد من العرب من اهل قريش ، قال تعالى:

[لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم].

{ التوبة ، ٢٨ }

تدرج الى الكمال بفضل استقامته وطلبه لمكارم الاخلاق ووصفه تعالى بقوله : [وإنك لعلى خلق عظيم] { القلم ، ٤ } . كانت الانسانية قبل بعثته تتشوف وتتشوق الى الروح العلية عن طريق التبصر والتأمل في ملكوت السموات والارض.

إستخدم أدوات المعرفة حق الاستخدام، حرك سمعه للحق وبصره للنور وفؤاده للهداية، فسلك شعاب مكة بحثاً عن الحقيقة ونور الهدى ، حتى وجد نفسه متعبداً متحنثاً في غار حراء يناجي ربه ويطلب عفوه وهدايته حينها جاءه النداء العلوي من رب السموات والارض فنزل عليه اول نداء رباني أن:

[اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم]

{ القلم }

ان اشارات الوحي الاولى دعوة صريحة للعلم والمعرفة حيث كان القرآن العظيم اول مدرسة نهل منها رسولنا الكريم وكان معلمه خالقه وبارئه رب العالمين الذي قال له مخاطباً [وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون] {النحل ، ٦٤ } وقال في آية اخرى [ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين] { النحل ، ٨٩ } . وشملت بذلك رحمته كل الناس بل كل المخلوقات فقال جل وعلا في شأنه [فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين] { آل عمران ، ٥ } كان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان يجادل اهل المعتقدات الأخرى وخاصة أهل الشرك بالتي هي احسن . وهو أساس ينبغي أن نعتمده في حواراتنا مع الاديان الاخرى والثقافات المغايرة حتى نثبت للآخر مدى رحابة

وسعة ورحمة هذا الدين الذي يحمل مشعل نوره رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** الى الانسانية كلها.

فما على المسلمين اليوم سوى التأسي على خطاه والدفاع عن كرامة الاسلام والمسلمين بتمثل القدوة الحسنة واقتفاء سنة الحبيب المصطفى وهذه هي النصرة الحقيقية لرسولنا الكريم قولا وعملا . ورب ضارة نافعة ، فلعل ما اصابنا اليوم من اساءة لديننا عن طريق الاساءة الى حبيبنا محمد هو التخلي عن التمسك بسنته وهديه. فهي صفعة مؤلمة لكنها موقظة ومنهضة للهمم ومشعرة بالندم تجاه قيمنا وديننا الحنيف الذي هو امانة بين يدي كل مسلم في كل انحاء العالم.

لقد اقتضت سنة التدافع الحضاري ان ندفع الظلم والحيف عن انفسنا اولاً حينما ضيعنا الامانة ووصفنا الدين بالموروث . لقد آن الاوان لمراجعة الذات والاعمال في ظل هذه التحولات التي يجب أن نحولها الى عناصر قوة بدل أن تكون عناصر هم . وذلك بالعودة الى سيرة حبيبنا المصطفى عليه السلام لناخذ منها العبرة والقدوة والعمل ولنثبت للعالم أجمع اننا نستطيع أن نستفيد من الازمات مهما كانت طبيعتها ومقاصدها.

رسالته (ص) وغايات الوجود الانساني :

إنّ الدين الاسلامي هو آية الكون، يحمل آيات الوحي وآيات الوجود ، وان تمكين الانسان من القدرات العقلية هو دعوة صريحة الى التأمل في نصوص الوحي المنزل على سيدنا محمد وفي آيات الكون والآفاق والانفس، وهذه الدعوة هي السبيل الى خلاص الأمة من التدهور والانكسار من خلال التشبث بصفات وسلوك هذا الرسول الكريم الهادي العالمين الى السبيل القويم.

فنظرة الاسلام الى الانسان تكتمل بذكر الغايات التي حددها القرآن الكريم وهي غايات ومقاصد حكيمة تسعد الناس وتنفعهم في الدنيا والآخرة

وذلك هو الفوز العظيم وهي التي استخلصها علماؤنا في كثير من مؤلفاتهم ، وهي التي حددها في ثلاث غايات تحت باب ، ما لاجله اوجد الانسان وهي :

١. عمارة الأرض : المذكورة في قوله تعالى [واستعمركم فيها] هود ٦١.

٢. عبادة الله : المذكورة في قوله تعالى : [وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون] الذاريات ٥٦ . وهذه لا تتم إلا بمعرفة الله ، بمعرفة ما في الكون من آيات.

٣. خلافة الله : المذكورة في قوله تعالى: [إني جاعل في الأرض خليفة] البقرة ٣٠ . وتتم هذه باقتداء الانسان بالباري عز وجل في صفاته وأفعاله.

وهذه غايات حددت شروطها وضوابطها ومقاصدها في كثير من النصوص القرآنية والحديثية. لأن عمارة الارض وتحقيق الخلافة فيها والتوجه بخالص العبادة لله عز وجل لا يتم إلا اذا استوعب الانسان غايته من الوجود في علاقته بخالقه وعلاقته بغيره.

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عمل جاهداً لتحديد سبل تحقيق هذه الغايات عن طريق توجيه عقول وقلوب الناس الى عقيدة التوحيد ، ورفع الحواجز النفسية والعوائق المادية والفوارق الرزقية والعرقية. فألف بين قلوب الناس وآخى بين المهاجرين والانصار وفي ذلك قال تعالى:

[واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا] .

{ آل عمران ، ١٠٣}

إن رسول الانسانية هو رسول المحبة والأمن والسلام لسائر الناس بشتى أجناسهم ومواضعهم ومراتبهم وعقيدتهم . وهذه صورة من صور رحمته وسماحته [ان كفار قريش في السنة الثامنة للهجرة القوا سيوفهم

مستسلمين حينما وقف الرسول بباب الكعبة وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم . قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال : [اليوم اقول لكم ما قال اخي يوسف من قبل، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء].

{ سيرة ابن هشام ، ٤/ ١١ }

ومن مظاهر رحمته وسماحته وتعايشه مع اهل العقائد الاخرى تلك الوثيقة التاريخية التي تجسد حقيقة حفظ حقوق الغير ولو من غير المسلمين حين جعل من بين بنودها :

ان اليهود أمة مع المؤمنين.

وان لليهود النصرة والاسوة بينهم وبين المؤمنين. وهو القائل : من آذى ذمياً فقد آذاني ، ومن خاصم معاهداً فأنا خصيمه.

{ المرجع السابق ٣ / ٢٣١ }

لقد كانت دعوة الرسول صريحة تجسد معاني الحوار الهادف والتساكن المفضي الى التآلف والتعايش مسترشداً في كل ذلك بوحي من ربه عز وجل القائل سبحانه [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي احسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون] { العنكبوت ٤٦}

قال أيضاً: [قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكن ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون]. { آل عمران/ ٦٣}

الرسول القدوة واهل الديانات الاخرى :

إن المعرفة الموضوعية والمنحى الصادق في دراسة سيرة الرسول من لدن أهل الديانات الاخرى سيجعلهم لا محالة يقفون على حقيقة شخصية الرسول وسر نجاح دعوته وامتدادها عبر الاقطار والدول في كل أنحاء العالم. وهذه مهمتنا نحن المسلمين في توضيح هذه السيرة العطرة والمنهاج القويم الذي سار عليه النبي المصطفى عليه السلام ودعا العالم للاقتداء به وذلك كل من موقعه ، حتى يكون الجميع قد ساهم في التبليغ. وهذه بعض النماذج من الاقوال الصادقة والمنصفة في حق نبينا محمد وفي حق دعوته الكريمة .

- **قالت الشاعرة الهندية ساروجني ندو :**

يعتبر الاسلام أول الأديان منادياً ومطبقاً للديموقراطية ، وتبدأ هذه الديموقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة ويسجد القروي والملك جنباً لجنب اعترافاً بأن الله اكبر. وما ادهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخاً للآخر. ان رسالة سيدنا محمد **صلى الله عليه وآله وسلم** هي رسالة الهدى المطلق للخلق كافة مصداقاً لقوله تعالى: [هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا] { الفتح ٢٨ } ولقوله عز وجل في آية أخرى: [ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون]. { الصف ٩}

فما على المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى إلا التمسك بسيرة المصطفى والسير على هديه والتمثل بخلقه الكريم ، والاجتهاد المتواصل في قراءة سيرته وسننه من خلال الكثير من المصنفات والكتب التي اختصت في ذكر أمجاده ومفاخره وشمائله وأوصافه ، وأقواله وأفعاله وتقريراته وكل ما يتعلق بحياته العامة والخاصة ، وليجتهد كل بيت مسلم في اطلاع أبنائه على

شخصية نبينا الكريم وحثهم على قراءة سيرته وحفظ بعض اجزائها، وكذا حفظ المتون الحديثية ، حتى نستطيع ان ننشيء ابناءنا على معرفة نبيهم ومن خلاله التعرف على اصول الدين الاسلامي وصفاء ينبوعه.

غير ان التحدي الاكبر الذي نواجهه اليوم هو كيف نثبت للعالم صدق هذه الرسالة المحمدية وسريانها الهادي والشافي من هذا الطغيان والشرور والآفات والصراع الذي ساد العالم بشكل غير مسبوق . ويبدو لي ان احدى الطرق الرئيسة في بلوغ هذه الغاية وتحقيق هذا المقصد يمر عبر تقديم السيرة الحقيقية لهذا النبي الكريم بتحقيق ما دعانا اليه من عمل صالح يشمل كل مناحي الحياة حتى نكون بحق القدوة الحسنة للعالمين أجمع .

المحور الثاني: تجديد النبوة :

بما أن هذه الدعوة عالمية وأنها منذ بعثته **صلى الله عليه وآله وسلم** فانها تتطلب التجدد والمعاصرة وفق الأحداث المتجددة . ولكن على منهج النبوة والذي لا يمكن أن يكون صحيحاً وصواباً إلا وفق منهج العترة الطاهرين عليهم السلام.

نقف عند فقرة من هذه الآية الشريفة وهي قوله تعالى [وخاتم النبيين] الخاتمية تعتبر من القضايا الضرورة في الاسلام، والمراد من ضروريتها هو وضوحها الى حد ينتج عنه القطع واليقين عند جميع المسلمين بصوابية حقانية هذه القضية، فختم الرسالات برسالة الرسول الكريم محمد **صلى الله عليه وآله وسلم** أمر لا يمكن أن يتطرق إليه الشك، بل ان كل مسلم يدين بالاسلام ديناً لا يعتقد بخاتمية الرسالة الاسلامية فانه منكر لضرورة من ضروريات الدين ومكذب للقرآن الكريم وللرسول الكريم **صلى الله عليه وآله** ، فما من أحد يؤمن برسول الله وبالقرآن الذي أنزل من عند الله إلا

ويلزمه الايمان بخاتمية الاسلام، ولذلك لا يكون هذا البحث محل نقاش وتداول، وهو من الخطوط الحمراء التي يحرم تجاوزها .

وقد أكدت الآية الشريفة وآيات أخرى وروايات كثيرة جداً على هذه القضية، ومنها ما ثبت بالتواتر عن الشيعة والسنة، من قول رسول الله (ص) لعلي بن ابي طالب في مواضع متعددة " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي " هذه الرواية الشريفة قد قيلت في مواضع متعددة ، لذلك نقلت في كل من كتب العامة والخاصة، واشهر واقعة قيلت فيها هذه المقولة المباركة هي حينما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي (ع) على المدينة المنورة حين خروجه الى تبوك لمواجهة أو لمناورة الحضارة الرومانية ، خرج رسول الله بجيش كبير لم يسبق له مثيل في تاريخ الاسلام القصير انذاك، فقد حشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين للخروج لمواجهة الحضارة الرومانية والجيش الروماني، وخلّف عليا (ع) على المدينة، فارجف بعض المنافقين وقالوا خلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً (ع) مع النساء والصبيان، فخرج عليّ الى الجيش المعبر عنه بجيش العسرة وهو جيش جرار يقوده الرسول ، فخرج اليهم علي (ع) خارج المدينة، وعلى مسمع ومشهد من المسلمين وقال يا رسول الله : تخلفني مع النساء والصبيان " فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

" أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي ".

الحاجة الى قيّم على المسلمين :

لم يكن رسول الله محتاجاً آنذاك الى قائد عسكري، وإلا كان أجدر الناس بهذه المهمة علي بن ابي طالب (ع) ، الرجل المتميز فارس الاسلام وفارس الغزوات التي قادها رسول الله وفاتح الحصون، يعرفه كل أحد بالشجاعة والجرأة والاقدام ومقارعة الاقران، فكم خرّ على يديه بطل وكم جدل بصمصامه وبسيفه ذي الفقار ابطال وابطال ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحتاج الى قيّم ، لذلك لم يفوت رسول الله هذه الفرصة التاريخية ليقول للناس، أنّ علياً معلم المسلمين بعدي وقيمهم بعدي، أما رضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي من بعدي ، هنا بين رسول الله الخاتمية بهذه الفقرة المباركة ، يقول انه لا نبي بعدي ولكن لا يعني ذلك ان البشرية قد استغنت عن الوحي وقد استغنت عن تعاليم الرسالة، وقد اكتفت، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن الاسلام وصاحب الشريعة يقصد من ختم النبوة ان البشرية قد استغنت عن الوحي ولكن أراد أن يقول أن الوحي قد تم ونحتاج الى أمرين بعد اكتمال الوحي واكمال النور، ورسول الله لن يبقى لابد الدهر، " إنك ميت وإنهم ميتون " لن يبقى الى الأبد والبشرية لا زالت وستبقى مفتقرة الى الوحي، اذا نحتاج الى معلم ومبين لما في الوحي، وبما جاء به الوحي، علي هو المعلم، ونحتاج الى قيّم يسوس العباد، ويدير دفة الحكم، ويرعى شئون المسلمين، ويحفظ بيضة المسلمين، ويضمن للاسلام الخلود والبقاء والاستمرار والحيوية والعطاء.

كذلك القرآن جاء ليبقى لا ليفنى كما ورد هو كالشمس والقمر فكما ان الشمس والقمر لا يبليان القرآن لا يبلى ، اذا هو في حيوية مستمرة وعطاء رب دائم ابدي، الا اننا لا نفهم معطيات القرآن بتمام تفاصيلها ودقائقها نحتاج الى معلم، من هو المعلم هو خط علي (ع) خط الولاية، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبواسطة هذه الرواية الشريفة يبرر لنا الخاتمية ،

مبرر الخاتمية كيف تختم الرسالات، هل استغنى الانسان عن الوحي هل استغنى عن تعاليم السماء، هل كمل عقله، هل كملت روحه، هل خلي المجتمع من المشكلات والمعضلات، هل بلغ مرتبة العصمة في فكره وروحه وادارته وسياسته لا ، إذاً لماذا تختم الرسالات فلابد ان تستمر، لابد وان تستمر النبوات، نقول لا قد كملت، " اليوم اكملت لكم دينكم " قد كمل الدين ، ورغم كمال الدين إلا ان البشرية لم تكمل، ما هو الدليل على ان البشرية لم تكتمل رغم ان الدين قد كمل هو قوله تعالى :

[وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم].

{ آل عمران ١٤٤}

إذاً كيف نفهم هذه المفارقة، كيف نوفق بين هذه المفارقة، الاسلام كمل والامة تنقلب، كيف نحمي تعاليم الاسلام من الانحراف ، كيف نحمي المجتمع الاسلامي، كيف نضمن للاسلام الخلود، كيف يظل الوحي معطاء، الجواب هو ان يبقى خط الرسالة ويكون امتداده خط الولاية، رسول الله وبهذه الخطبة القصيرة يبرر لنا منشأ الخاتمية ، والا لا مبرر للخاتمية .

لماذا ختمت النبوة بمحمد ص ؟

هناك إستفهام وإشكالٌ خطير يثار ، لماذا ختمت النبوة بمحمد ؟ اذا كانت البشرية وكان المنشيء من تجدد النبوات في تاريخ البشرية هو نقص الانسان وحاجته المستمرة للوحي، فلماذا تختم النبوات ؟ هل بلغ الانسان مرتبة الكمال والعصمة فاستغنى عن الوحي؟ او ان عجلة التطور قد توقفت ولن يتطور الزمن والانسان بعد محمد فلا تكون ثمة حاجة للوحي او ان الله قد استنفد ما عنده ولذلك كان للانسان أن يشق طريقه دون هدىً من الوحي،

عليه ان يعالج ما يستجد من قضايا وامور بنفسه؟ الجواب الاجمالي : هو ان الامر ليس كما تتوقعون ، هو ان الانسان لم يستغن ولن يستغني عن الوحي، لانه سيظل ناقصاً والله لا تنفد كلماته :

[قل لو كان البحر مِداداً لكلمات ربي لنفدَ البحر قبل ان تنفد كلماتُ ربي ولو جئنا بمثله مَدداً].

{ الكهف / ١٠٩ }

إلا أن المنشيء من ختم النبوة هو كمال الدين، [اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلام دينا]. { المائدة / ٣ }

اذن قد كمل الدين وهو ما برر ختم النبوة ولكن ليس المنشيء من تجدد النبوات هو كمال الدين والتشريع وحسب هناك مناشيء اخرى سنأتي على ذكرها ولكن هذه المناشيء كلها كما سيتضح تعالج بان يبقى هذا الدين الكامل قادرا على العطاء والاستمرار ، وهذا لا يحتاج الى نبوة جديدة، يحتاج كما قلنا الى معلم وقيم ، وخط الولاية يضمن هذين الامرين فخط الولاية الذي يتمثل في خط علي واولاد علي عليهم السلام، هذا الخط يضمن هذين الامرين فعلي والحسن والحسين والائمة عليهم السلام الى المهدي المنتظر القائم بالحجة هم معلمو الاسلام وهم القيّمون على شئون المسلمين ، هذا هو الجواب الاجمالي . ولكي يتضح الجواب بشكل تفصيلي نقول :

إنّ منشيء التجدد في النبوات هو أحد أمور أربعة أو خمسة هذه الأمور وهذه المناشيء وهذه الأسباب، عندما نستعرضها سيتضح لنا أن جميعها مفقودة في الرسالة الخاتمة لذلك لا يكون ثمة من مبرر وثمة من منشأ لتجدد النبوات، تجدد النبوات يخضع لمبررات، فهي لا تتجدد عبثاً وإنما تتجدد بمبررات وأسباب ومناشيء ، لو استعرضنا هذه المناشيء سنجد انها

غير موجودة في الرسالة الخاتمة ، لذلك لا مبرر لتجدد النبوات ، ويكون ذلك هو المبرر لختم النبوات .

لماذا تجدد النبوات ؟

السبب الاول :

لتجدد النبوات هو أن النبوة قد تستنفد غرضها وعند ذلك لا يكون ثمة من مبرر لعدم بعث أو ارسال نبي أو رسول جديد ليواصل الشوط وليقود البشرية للهدى ، اذا كانت النبوة قد استنفدت غرضها باعتبار انها جاءت لمعالجة قضية ومشكلة طارئة لم تكن فكانت مشكلة روحية أو فكرية أو اجتماعية، وقد تكون هذه المشكلة تحتاج الى علاج مخصوص، وهذا العلاج لا يناسب كل حالة وكل زمن لأن هذه الوسيلة التي توسل بها النبي لمعالجة هذه القضية الطارئة، قد تكون بمثابة وصفة علاجية من قبيل الوصفات العلاجية التي تعطي للمريض، فعندما يطرأ مرض على انسان فيتصدى الطبيب لمعالجة هذا الانسان، قد يصف له دواء، هذا الدواء قد لا ينفع غير هذا المريض كما لا ينفعه في الحالات الاعتيادية عندما يشفى من مرضه، الدواء لم يكن غذاء اعتيادياً لهذا الانسان لانه انما احتاج هذا الدواء لاعتبار مرضه فاذا كان قد عوفي من مرضه فان هذا الدواء لن ينفع بل قد يكون وبالاً عليه، لو اعطي الدواء في حال شفائه، بعض النبوات تأتي لهذه الغاية ، تأتي لمعالجة حالة فكرية أو روحية أو اجتماعية ويعطي النبي وصفة علاجية مخصوصة ، لا تنفع لمجتمع آخر كما لا تنفع نفس المجتمع عندما يتعافى من تلك المشكلة، وعندئذ تستنفد النبوة غرضها، فاذا استنفدت غرضها لم يكن هناك من حاجة لهذه التعاليم والارشادات التي جاء بها النبي وعندما تستجد قضايا ومشكلات جديدة نكون قد احتجنا لنبوة أخرى، لمعالجة تلك المستجدات، نمثل بذلك بنبوة السيد المسيح (ع).

يقال أنه إنما بعث لمعالجة مشكلة قد طرأت في المجتمع اليهودي ، واليهود وبعد مرور الزمن ونتيجة غرورهم، ونتيجة استكبارهم واعتبار انفسهم شعب الله المختار، ونتيجة حرصهم على الدنيا، قد كبرت الدنيا في اعينهم وراقهم زخرفها فأصبحوا حريصين على جمع الأموال وحريصين على أن يسوسوا العالم وأدى ذلك الى أن يستعبدوا الناس وينصرفوا عن الغيب وعن العبادة الحقيقية، فأصبحت الدنيا هي شغلهم وهي همهم، وفي هذه الظروف صدع المسيح برسالته، حينئذ بأي شكل سيعالج المسيح هذه الازمة الروحية، التي كان يعانيها المجتمع اليهودي، كان الراهب اليهودي يعبد من دون الله، بأي شيء يعبد من دون الله وبأي معنى، فقد كان هو الذي يقرر ويتبع، حتى وإن كان على خلاف أمر الله كما يؤكد القرآن، فالمجتمع اليهودي كان يجمع الدنانير من الناس عن طريق الرهبان وعلماء اليهود، بعنوان النذورات والمبرات، فتجمعت عندهم رؤوس أموال كبيرة، كانوا يفكرون بطريقة تجارية دائما، لا يعبأون بالروحانيات والغيبيات، انصرفوا عن الصلاة انصرفوا الى الدنيا الى النساء الى الدراهم، الى الدنانير الى العمران، يبحثون عن وسيلة للاستيلاء على العالم هكذا تؤكد كتب التاريخ ..

وتؤكد كتب علماء النصارى في اوروبا الآن، جاء السيد المسيح ليفتح المجتمع اليهودي على الغيب، لذلك جاء بالرهبانية، وكان يؤكد على الرهبنة وهي الانقطاع التام عن الدنيا عن الزواج عن الأولاد عن الأموال، كان الرجل المتنسك الذي هو على دين المسيح هو من لا يتزوج، هو من لا يعمل ويكتفي بحشائش الارض كما كان السيد المسيح، يكتفي بحشائش الارض يأكل منها وكما كانت السيدة مريم وكما كان النبي يحيى حتى بان اصفرار عروقه، في حلقه وفي وجهه، ومدحه القرآن بأنه " سيدٌ وحصور " يعني انه غير يتزوج والسيد المسيح بلغ من العمر ٦٠ عاما ولم يتزوج والعذراء كانت ذلك والحواريون كانوا كذلك، اتباع السيد المسيح كانوا كذلك، منقطعين عن

آفاق الحضارة الاسلامية - العدد الثاني والعشرون - السنة الحادية عشرة

الدنيا الى الله يحصرون انفسهم في المساجد وفي المعابد ولا يفكرون في غير الصلاة، لا يفكرون في غير الصلاة والصيام ويصمتون زمناً ويكفون عن الاكل زمناً طويلاً ولا يتزوجون الى الموت.

هذه هي معالجة تلك النزعة المادية المتجذرة والمتأصلة في الروح اليهودية وفي المجتمع اليهودي، يحتاجون الى ردة فعل ويحتاجون الى صدمة لينفتحوا على الغيب، فلذلك جاءت الرهبنة المتطرفة وهي علاجهم، لكنه أيها الأحبة هل هذا العلاج ينفع لكل مجتمع والى الأبد بالطبع لا ، لأن الرهبنة التي جاء بها السيد المسيح كانت لغرض علاج مؤقت نتيجة مرض مستفحل وقع فيه المجتمع اليهودي ولذلك لا ينفع هذا العلاج ولا تنفع هذه الوصفة العلاجية لكل زمن فتكون النبوة قد استنفدت غرضها عندما تستطيع معالجة هذه المشكلة ولا تنفع هذه الوصفة لمجتمع او لزمن اخر لذلك جاء الاسلام ليقول " لا رهبانية في الاسلام " اني رجل أأكل اللحم واشرب الماء العذب واعمل وادخل الاسواق واتزوج ، " خذوا زينتكم عند كل مسجد " وهكذا جاء الاسلام ليقول للناس انفتحوا على الدنيا " لا تنسى نصيبك من الدنيا " لان تلك الوصفة التي جاء بها السيد المسيح (ع) لم تكن نافعة لمجتمع غير المجتمع اليهودي.

وقد تكون النبوة لغرض معالجة مشكلة اجتماعية قد طرأت في مجتمع ما او امة من الامم، هذه الامة تدين بدين ولا زالت على دين نبيها الراحل ولكن قد طرأت عندها مشكلات يحتاجون معها ولسببها الى مصلح ويحتاجون الى الوحي من أجل تقويم هذه المشكلة ومعالجتها لذلك يبعث النبي ، فنبي الله لوط (ع) كان على دين ابراهيم وكان دين إبراهيم ديناً سارياً لم ينسخ ولكن لماذا بعث لوط الى قومه لمعالجة أزمة اجتماعية أخلاقية قد طرأت في المجتمع والا فلوط كان وكانت الامة التي بعث فيها لوط على دين الخليل ابراهيم، يقول الله :

[فآمَنَ له لوط وقال إنّي مُهاجر إلى ربّي إنّه هو العزيز الحكيم].

{ العنكبوت ٢٦}

اذن من المفترض ان يكون لوط وقومه على دين الخليل ابراهيم ، ولذلك كان ابراهيم موجوداً عندما بعث لوط، بل وعندما دمر قوم لوط ، يقول الله تعالى :

[فلمّا ذَهَب عن إبراهيمَ الرَّوعُ وجاءَته البُشرى يُجادلنا في قوم لوطٍ].

{ هود ٧٤}

اذن هناك نبوة عامة وهناك نبوة خاصة، إذ ان النبي لوط بعث لمجتمع الخليل ابراهيم بعد ان طرأت عليه مشكلة أخلاقية احتاجوا لذلك الى نبي والى الوحي من اجل معالجة تلك المشكلة وهكذا أنبياء آخرين كنبي الله شعيب، ليس من الواضح ان نبي الله شعيب جاء لكي ينسخ النبوات التي كانت قبله، وإنما جاء ليؤكدها من جهة ويقرهم على دينهم السابق ويعالج مشكلة اقتصادية قد طرأت في المجتمع الذي بعث فيه نبي الله شعيب ، وهي مشكلة استغلال الاغنياء والبرجوازيين والمتنفذين واستغلال الضعفاء .. ".

في المكيال والميزان " قال الله تعالى :

[وإلى مَدينَ أخاهُمْ شُعيباً قالَ يا قوم اعبُدوا اللهَ ما لَكُم مِنْ إله غيرُهُ ولا تَنقصُوا المكيالَ والميزانَ إنّي أراكُم بخيرٍ وإنّي أخافُ عليكُمْ عَذابَ يومٍ محيط * ويَا قوم أوفُوا المكيالَ والميزانَ بالقسط ولا تبخسُوا الناسَ أشياءهُم ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسدينَ].

{ هود:٨٤ -٨٥ }

اذا اقتضت العناية الالهية أن تبعث لمدين نبياً لمعالجة مشكلة طرأت عليه، ولكن قد لا تصلح هذه المعالجة كوصفة علاجية الى مجتمعات أخرى،

وليس من الضروري أن تكون الوصفة التي يأتي بها النبي غير صالحة لمجتمع آخر ولكن كان منشأ بعث النبوة ان تلك النبوة التي سبقت والتي هم عليها لم تكن قد تصدت لهذه المشكلة وذلك لعدم شمولها وعدم كمالها لذلك يبعث نبي آخر من أجل أن يتصدى لتبيان ومعالجة تلك المشكلة الطارئة وهذا منشيء من مناشيء التجدد في النبوات .

الاسلام ليس كذلك الاسلام جاء ليس لمعاجة قضية طارئة وليس لمعاجة مشاكل محددة الاسلام جاء بكل ما يمكن ان يحتاجه الانسان والى الابد كما تصرح الآيات وهكذا صرح القرآن الكريم ، قال تعالى :

[استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم].

{الانفال / ٢٤}

اذن رسالة رسول الله جاءت لحياة البشرية على سعتها الجغرافية وامتداد تاريخها المستقبلي، ويقول الله عز وجل : [الذين يتبعون الرسول النبيّ] لاحظوا هذه الآية المباركة تلخص اهداف الرسالة الالهية وتعبر عن استيعابها لتمام ما يحتاجه الانسان { الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف } الاعراف / ١٥٧، بكل معروف كما هو مقتضى الالف واللام، أي معروف تتوقعونه فقد أمر به الاسلام " يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث " اذن جميع الخبائث محرمة، جميع الطيبات أحلها المعروف بتمام صوره وتجلياته وعلى سعته قد امر به الاسلام.

وأي منكر وبتمام شعبه قد نهى عنه الاسلام ، ثم يقول : [ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم] اذن الاسلام جاء لغرضين لبعث الاخلاق والنبل والمعروف وهذا ما عبر عنه الرسول الاكرم بالجهاد الاكبر من أجل أن يرفع عن كاهل الامة إستغلال المتنفذين والمستكبرين ومن أجل ان يرفع عنهم ما يلاقونه من ثقل الجبت والطاغوت والجبابرة والمستكبرين

[ويضع عنهم اصرهم) (والأغلال التي كانت عليهم) الاغلال التي كان يضعها الجبابرة والمستكبرون على المستضعفين والأغلال الروحية والأغلال الفكرية والأغلال الاجتماعية كل هذه الأغلال جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء ليرفعها عن كاهل البشرية وفي آية اخرى يقول الله تعالى : [وجئنا بك شهيداً على هؤلاء وأنزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء].

محدودية نطاق الرسالة والنبوة :

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد:

[ما كانَ مُحمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكُم ولكِن رَّسُولَ الله وخاتمَ النبيينَ وكان الله بكل شيءٍ عليماً].

{ الاحزاب: ٤٠}

إكمالاً للحديث السابق عن المبرر الاول من مبررات التجديد في النبوات نقول انه قد يبعث الله النبي لمدينة محدودة ولمجتمع معين وحينئذ يكون نشاطاته ودعوته وارشاداته منحصرة في تلك المدينة وفي ذلك المكان ولا تتسع دعوته الرسالية لأوسع من ذلك المكان المحدود.

ومن هنا تحتاج المدن الأخرى والمجتمعات الأخرى الى نشاطات وحركات رسالة الهية مماثلة أو مختلفة، بحسب ما تقتضيه طبيعة ذلك المجتمع وبحسب ما يحتاجه ذلك المجتمع، فيكون حينئذ منشأ ومبرر التجدد في النبوات هو محدودية نطاق الرسالة والنبوة، وهذا المبرر تجدونه واضحاً خلال ما نقرأه في القرآن الكريم الذي أشار الى وجود أنبياء قد بعثوا لمجتمعات معينة أو لمدن مخصوصة، مثلا قوله :

[الى مدين أخاهم شعيبا] الاعراف: ٨٥ ، هذه الآية المباركة تعبر عن ان نبياً إنما بعث الى مدينة مدين وحسب وحينئذ ما حال المدن الأخرى ، هل هي سدى ؟ هل تهمل من قبل العناية الالهية ؟ بالطبع لا ، وهذا ما يقتضي

ان يبعث أنبياء آخرون في المدن الأخرى والمجتمعات الأخرى وهكذا قوله تعالى: [وإلى ثمود أخاهم صالحاً] هود: ٦١ ، وكذلك قوله تبارك وتعالى : [وإلى عادٍ أخاهم هودا] الاعراف: ٦٥ ، فهذا المجتمع وهذه القبلية كان قد بعث اليها دون غيرها نبي الله هود (ع) وفي آية أخرى :

[وآتينا ثمود الناقة مبصرة] الاسراء: ٦٠ ، مبصرة يعني معجزة تجعل الانسان يبصر الحقيقة، بواسطة ما يراه من إعجاز يتمثل في تلك الناقة التي خرجت دون أن يكون لها أم ولا أب وما هو عليه حال تلك الناقة من صفات متميزة تجعلها معجزة تورث البصيرة، وهي انما تورث البصيرة لمن عاصر وشاهد وليس سوى قوم ثمود، اذن هذه النبوة خاصة لمجتمع من المجتمعات ولم تكن لعموم الناس.

نبوات ماتت في مهدها :

على أنه قد تموت النبوة في مهدها وذلك لأن من بعث لهم هذا النبي قد جنوا على أنفسهم فقتلوه قبل أن يستكمل دعوته أو يتمكن من بيان الهدى الذي بعث من أجله، فكم قتل من الانبياء وهم في بداية دعوتهم، بنو اسرائيل قتلوا من الانبياء مئات حتى ورد انهم قتلوا سبعين نبياً ثم جلسوا في أسواقهم يبيعون ويشترون، وأمم وقبائل ومجتمعات كثيرة قد اوقعوا بأنبيائهم أشد العذاب والتنكيل وقتلوهم شر قتلة، فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من اودعوا في الآبار وطمّت عليهم تلك الآبار، ومنهم من احرقوا بالنار حتى الموت والدعوة بعد لم تستكمل والامة بعد لم تبلغ حد الرشد الذي أراده الله من خلال بعثه تلك النبوات، حينئذ يكون من المعقول جداً أن تتجدد النبوات، وهكذا كانت تتجدد نبوة بعد نبوة نتيجة ان الأمة التي بعث لها ذلك النبي لم تراع ذلك النبي فرجموه أو قتلوه أو أحرقوه أو نشروه بالمناشير، هذا مبرر لتجدد النبوات .

مجتمعات وأمم تفنى دون النبوات :

وقد يكون منشأ تجدد النبوة ان الامة هي التي تفنى وليس النبي، تارة يكون النبي هو الذي يقتل وتارة يكون الامر على عكس الاول، فالامة هي التي تنتهي، يدعو عليها ذلك النبي فتباد عن بكرة أبيها، ولا يبقى منها من أحد، كقوم لوط لم ينج منهم إلا أهله، وحتى امرأته لم تنج من الهلاك، حينئذ يكون من المعقول أن تبعث نبوة أخرى، في مجتمع آخر لأن الأمة التي يراد لها أن تحمل أهداف وأغراض ذلك النبي قد ابيدت نتيجة طغيانها ، فقوم هود لم يبق منهم من أحد وقوم صالح بعد ان عقروا الناقة :

[فَدَمْدَمَ عليهِمْ رَبّهُم بذنبهم فَسَوّاها] .

{ الشمس: ١٤}

أبادهم عن بكرة أبيهم، وهكذا قوم لوط قال تعالى : [فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها] هود: ٨٢ ، فلم يبق منهم من أحد وهكذا أقوام لأنبياء وأنبياء كثر، حينئذ يكون من المعقول جداً أن تتجدد النبوات.

وصورة أخرى من صور مبررات تجدد النبوة وهي أن يبقى النبي في قومه سنيناً طويلة إلا أنهم يظلون غير مستوعبين لأهداف رسالة ذلك النبي فلا يجد منهم سوى المكابرة والعناد حتى يموت بغصته وبغيظه او يرحل عن تلك الامة، والامة لا زالت لم تقبل بتلك الرسالة، فنبي الله شعيب يهدده قومه فيقولون له:

[لَنُخرجَنك يا شُعيب والذينَ آمنوا مَعَكَ من قريتنا أو لتَعودُنَّ في ملّتنا].

{ الاعراف: ٨٨ }

يهاجر عنهم ويتركهم، فهؤلاء لا يبقون الى الابد دون نبي ولا تفوتهم العناية الالهية ويحتاجون بعد زمن الى نبوة اخرى تتبعث في أمتهم، لعلهم يثوبون الى رشدهم .

فالأمة حينما لا تستوعب أهداف الرسالة أو لا يستكمل النبي معهم رسالته أو يكون النبي قد جاء لمجتمع مخصوص ومحدود وذلك ما يجعل نشاطاته وحركته الرسالية ومواعظه وتعاليمه وتشريعاته التي جاء بها من السماء مختصة بتلك الامة وحينئذ تكون الأمم الأخرى والمجتمعات الأخرى محتاجة الى نبي آخر ومرشد آخر.

أما الاسلام فلم يكن كذلك، الاسلام لم يأت لمدينة مخصوصة ولم يأت بتعاليم محدودة بحدود تلك الامة، جاء ليخرج كل الناس من ظلمات الجهل جاء لينظم حياة كل الامة جاء من أجل أن يسود كل الأمم وعلى إمتداد تاريخ البشرية المستقبلي، فاذا عالمية الرسالة الاسلامية تنفي هذا المبرر، اذا كان المبرر من تجدد النبوات هو محدودية نشاط الرسالة بمحدودية الزمن أو المكان أو محدودية المجتمع، فان رسالة الرسول الكريم **صلى الله عليه وآله وسلم** لم تكن بهذه الكيفية بل كانت رسالة عالمية وهذا ما تؤكده الآيات المباركات ، قال الله تعالى :

[وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين] الانبياء: ١٠٧ ، ويقول سبحانه وتعالى :

[تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً] الفرقان: ١ ، اذن هذه الايات تعبر عن أن رقعة وحدود الاسلام يستوعب كل الارض ، لاتحده حدود جغرافية، ويقول الله تعالى: [وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً] سبأ: ٢٨ ، ثم ان هناك آية صريحة في أبدية هذه الرسالة ،اذن فهي عالمية من حيث المكان وعالمية من حيث الزمان :

[وأُوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومَن بَلغَ].

{ الانعام: ١٩ }

ومن يأتي بعدكم وتبلغه هذه الرسالة فانه يكون مسئولاً عن امتثال تعاليم تلك الرسالة ثم يقول: [ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه] آل عمران: ٨٥ ، في حين ان ما كان عليه واقع النبوات سابقاً هو ان لكل مجتمع نبي لا يلزمه

الا يتدين بما جاء به ذلك النبي، هذا تمام الكلام حول المبرر الاول من مبررات التجدد في النبوات ورأينا ان هذا المبرر لا ينطبق على رسالة الرسول الكريم **صلى الله عليه وآله وسلم**.

تراث النبوة :

أما السبب الثاني لتجدد النبوات فهو كما يقول الشهيد الصدر (قدس سره) انقطاع سراج النبوة، فعندما ينقطع سراج النبوة يكون من المعقول جداً أن يبعث الله نبياً آخر ليواصل الجهاد والحركة الرسالية التي يراد لها أن تسير بالبشرية نحو الكمال.

ما معنى انقطاع تراث النبوة، المراد من هذا المبرر هو انه قد تأتي نبوة وتمارس نشاطاتها وحركتها الرسالية، ويهتدي بها جمع كبير من الامة وتبدأ الامة تخط طريقها نحو الرشد ثم يرحل ذلك النبي الى الله وحينئذ تعيش الامة فراغاً ويبدأ المضلون بدس الضلالات في وسط الامة – أمة ذلك النبي – وتنحرف الامة عن خط نبيها ويبدأ تراث النبوة الفكري والروحي والسياسي يبدأ في الانحلال والاضمحلال، وتتلاشى وتنتهي من ذاكرة الامة كثير من التعاليم التي جاء بها ذلك النبي أو يتم التغيير للكثير من تلك التعاليم وتندثر تعاليم اخرى وحينئذ تصبح تلك النبوة مسألة تاريخية ذات مفهوم غائم وباهت لا يعرف عن تلك النبوة الا مجموعة من الشعارات السطحية دون القدرة على الوقوف على محتواها وحدودها وتفاصيلها.

ليس ثمة من كتاب يكون مرجعاً لتلك الامة ويحمل تعاليم تلك النبوة التي رحلت، وليس ثمة من قيّم يملك المؤهلات التي تجعله قادراً على تحمل أعباء تلك الرسالة التي رحل النبي عنها حينئذ يكون من المعقول جداً أن تجدد النبوة، لأن النبوة قد أصبحت مسألة تاريخية أصبحت في التراث

اصبحت شعاراً ليس له مضامين واضحة، لذلك يكون من المعقول جداً ان تتجدد النبوات.

أنتم تلاحظون أن هذا المبرر نتج عنه تجدد النبوات كما تؤكد على ذلك الآيات المباركات التي وردت في القرآن الكريم، عندنا ٢٤ الف نبي أي شيء نعرف عنهم، ما هي الاقوال التي تؤثر عنهم، أي شيء كان سلوكهم، أين كتبهم، أين ارشاداتهم أين مواعظهم أين مواقفهم ما هو تاريخهم، ما هي سيرتهم، كل ذلك نجهله عنهم، بل حتى اسمائهم لا نعرفها، ولولا ان القرآن ذكر مجموعة من أسماء بعض الأنبياء لكنا نجهلهم أيضاً ، حينئذ لا يمكن أن يحتج الله عز وجل على عباده انه بعث رسلاً لا تعرف الامة التي تأتي في مستقبل الزمان لا تعرف عنهم حتى أبسط الامور، من الطبيعي أن لا يكون ذلك صالحاً للاحتجاج على البشرية وهذا ما يبرر تجدد النبوات، حتى أنبياء اولي العزم والانبياء الذين كثر ذكرهم في القرآن الكريم لا نعرف عنهم إلا النزر اليسير جداً بحيث لا يمكن أن يتشكل مما نعرفه عنهم دين متكامل الابعاد، تراث الانبياء الروحي وتراثهم الفكري والعقائدي تعاليمهم نصائحهم ارشاداتهم كتبهم سيرهم الذاتية كلها مجهولة عندنا .

تلاحظون أن القرآن يتحدث عن شعيب فيذكر عنه بعض المواقف إلاّ أنه بعد أن دعا على قومه يقول القرآن : (نَجَّيناهُ) من بعد النجاة شعيب بقي زمناً طويلاً، ماذا كان يصنع ماذا كان يقول أي شيء كان يفعل أي دور كان يطلع به، لوط عليه السلام خرج من المدينة التي بعث فيها قبل ان يخسف الله بها، ثم لا ندري اين ذهب، حتى المدينة التي ذهب اليها لا نعرفها، فضلاً عن معرفة ماذا كان يقول وماذا كان يفعل وما هي الكتب التي كانت عنده، وهكذا نبي الله صالح عندما خرج واصاب قومه الهلاك لا ندري ماذا فعل ؟ اذن هؤلاء الانبياء رغم انه قد وردت اسماؤهم في القرآن الكريم إلاّ أننا لا نعرف عنهم ما يصلح لأن يمثل ديناً كاملاً قابلاً لأن تتبعه الأمم المتعاقبة.

أكثر الأديان حضوراً في زمننا الحاضر هو الدين المسيحي فهو متنوع أكثر من في الكرة الأرضية بأكملها فأكبر مساحة جغرافية يستوعبها من الأديان الثلاثة هو الدين المسيحي، وكذلك من حيث المعتنقين فأكثر العالم البشري يعتنق الدين المسيحي، لنقف مع هذا الدين لنبحث عن تراثه ، التراث العقائدي والتراث الفكري والتراث التشريعي أين هو هذا التراث الذي خلفه السيد المسيح (ع) هل نجد منه شيء، لم يبق من الديانة المسيحية شيء يمكن ان يعول عليه او ان يشكل منظومة معرفية متكاملة تصلح لأن تكون إماماً لأمة، فالسيد المسيح خلف كتاباً سماوياً اسمه الانجيل .

أين هو هذا الانجيل لمجرد أن قتل المسيح أو رفع الى السماء كما نحن نعتقد ذلك ضاع الانجيل، واختفى الانجيل باختفاء السيد المسيح (ع) هكذا هم يقولون، كتب الانجيل كنسخة كتبها بولس بعد مائة عام من رحيل السيد المسيح (ع) ، ثم كتبت أناجيل متعددة لا نعرف أيها الواقعي، إنجيل لوقا أو متى أو انجيل يوحنا أو إنجيل برنابا، كل انجيل يقول هو الذي جاء به السيد المسيح، وقد كتبت هذه الاناجيل بعد اكثر من مائة عام من رحيل السيد المسيح ، وعلى أي شيء يحتوي هذا الانجيل، هل يشتمل على التشريعات والتعاليم والمعارف الالهية التي جاء بها السيد المسيح اطلعوا بانفسكم على هذه الاناجيل ستجدون ان ٩٠% من مضامين ومحتويات الاناجيل الاربعة تتحدث عن السيرة الذاتية للسيد المسيح .

إذن أين التعاليم التي جاء بها السيد المسيح أين التشريعات اين المعارف اين العقائد، كل ذلك لم يكتب في الأناجيل الأربعة الموجودة والمكتوبة بايدي تلامذة السيد المسيح أو من جاء بعدهم، على ان هذه السيرة لم تقصد لتحديد جميع ابعاد شخصية السيد المسيح ، واضح من ملاحظة هذه الاناجيل انها تركز على الجانب الاعجازي في شخصية السيد المسيح ، ان السيد المسيح مشى على الماء ان السيد المسيح فعل كذا بمعنى انها مسائل

إعجازية ، في حين اننا نحتاج من سيرة السيد المسيح للتعرف على ماذا كان يقول وما هي التشريعات التي جاء بها وكيف كان يتعامل مع القضايا التي يصادفها كيف يعالجها كيف يربي تلامذته ماهي نصائحه وما هي ارشاداته كل ذلك او اكثر مهمل في الاناجيل المذكورة، اذن فراغات كثيرة نشأت عن رحيل السيد المسيح، حيث لا يمكن الا ان تملىء هذه الفراغات بأيد بشرية اذا اريد للدين المسيحي ان يتكامل، فامتزج الدين المسيحي برؤى وأفكار بشرية بعد أن كان ديناً الهياً.

ومن جهة أخرى، أن المسيحية بعد رحيل السيد المسيح بقيت ضامرة ضعيفة في الوسط اليهودي، لان السيد المسيح إنما بعث في الوسط اليهودي، كما ذكرنا، بقيت المسيحية مخبوءة في ضمائر مجموعة من الناس ومجموعة من الحواريين وكانت في نفوسهم بمستوى باهت لعدم إستيعابهم التام لما جاء به السيد المسيح ، على أن خوفهم من الطغيان وتشتتهم واضطهادهم من قبل اليهود جعلهم يكتمون كثيرا مما كانوا يحملونه من تعاليم جاء بها السيد المسيح، فلم يكونوا بمستوى حمل عبئ الرسالة، التي جاء بها السيد المسيح كانوا يخافون من اليهود، اليهود قتلوا السيد المسيح كما يزعمون، اليهود اتهموا السيد المسيح في أمه، واتهموا زكريا وقتلوه، وقتلوا يحيى هم يقولون، كانوا يتتبعون الحواريين وتلامذة السيد المسيح يقتلونهم ويضطهدونهم ، فتبعثرت تعاليم السيد المسيح اخفوا كتاب السيد المسيح، فالانجيل اختفى باختفاء السيد المسيح، كما يؤكد ذلك المسيحيون قبل اليهود، وبقوا ثلاثة قرون ليس لهم كيان وكانت المسيحية مجرد أفكار يحملها مجموعة من الناس الى عام ٣٠٥ للميلاد.

بعد ولادة السيد المسيح استطاع المسيحيون أن يلملموا شملهم ويقنعوا الامبراطور قسطنطين بالتنصر وفعلاً دخل قسطنطين الملك في الديانة النصرانية، ومنها بدأ للنصارى كيان ودخلت الامبراطورية الرومانية في

الدين النصراني فقويت شوكتهم، ولكن ورغم ذلك ورغم ان المسيحيين وبعد ثلاثة قرون من التبعثر السياسي والتبعثر العقائدي والتبعثر الروحي والفكري بعد ثلاثة قرون من هذا التبعثر أصبح لهم كيان وهو الامبراطورية الرومانية بعد أن دخل الملك قسطنطين في الدين النصراني، لكن كان الرومان عهدها بالوثنية وثيق اذ كان اغلب المجتمع الروماني يعتنق الدين الوثني والذي آمن بالنصرانية هو قسطنطين ثم استطاع ان ينشر وبواسطة نفوذه الدين النصراني في الوسط الروماني .. ولكن مع ذلك بقيت شوكة الحزب الوثني قوية جداً وخشي كما يقول الكاتب الاميركي (درابر) في كتاب الصراع بين الدين والعلم يقول :

" ان قسطنطين وبعد أن اعتنق الدين النصراني وجد إنه من الصعب التوفيق بين مسايسة الحزب النصراني والحزب الوثني ولم يتمكن إلاّ أن يعتنق واحداً منهما ثم رأى ان اعتناق المذهب أو الدين النصراني سوف ينهي سلطانه وملكه وذلك بقوة الدين الوثني في المجتمع الروماني من هنا وللتحفظ على ملكه وسلطانه وامبراطوريته رأى من المناسب ان يمازج في التشريع وفي النفوذ بين الحزب النصراني والوثني ".

لذلك يقول الكاتب الاميركي : ان الدين المسيحي امتزج بالرؤى والافكار والتشريعات الوثنية. وانعكاسات هذا الامتزاج بقيت الى يومنا هذا فمن جهة ان الدين النصراني لم يكن قادراً على تغطية كل الفراغات التي كانت موجودة نتيجة التبعثر الذي اشار له هذا الكاتب، ومن جهة أخرى اصرارهم على أن يكون للدين النصراني كيان وليس من وسيلة إلا أن يمازجوا هذا الدين بتعاليم بشرية.

اذا قارنا شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشريعتي موسى وعيسى نرى أن شريعة موسى وعيسى تحمل إسم " الكتاب " أي مجموعة من

البنود التشريعية التي جاءت اليهما ولكن هذه التشريعات تحمل الطابع الزماني والمكاني " المرحلي التاريخي " من حيث الزمان والمكان " لبني اسرائيل " لذا كان موسى رسول بني اسرائيل ، وأرسل عيسى لبني إسرائيل لتعديل شريعة موسى.

وهكذا نرى أن شريعة موسى وعيسى كانتا شريعة عينية، أي أن كل التشريعات التي جاءت اليهما تشريعات عينية مشخصة وان مفهوم التجريد في التشريع لم يكن في رسالتي موسى وعيسى، لذا فقد وجه الله سبحانه وتعالى اللوم لبني اسرائيل لشدة تمسكهم بشريعة موسى عندما جاء عيسى وقال : (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) آل عمران: ٥٠ ، ومن جراء هذا التمسك بشريعة موسى: " الكتاب " ثم بشريعة موسى المعدلة برسالة عيسى، وعلى مر الزمن، اصبح هذا التشريع غير صالح ، وخرج من الحياة تماما كما خرج من الحياة التفسير التوراتي للكون والانسان، وبقي في الحياة منهما الفرقان فقط " الوصايا العشر " حيث ان الفرقان عبارة عن أخلاق وليس تشريعاً ولا تفسيراً للكون والانسان .

وجاء لمحمد **صلى الله عليه وآله وسلم** تحت اسم الفرقان ايضاً . وقد انفصلت المسيحية عن اليهودية عندما ألغى بولس شريعة موسى وأبقى الفرقان فقط (الوصايا العشر) وحسناً فعل لان هذه الشريعة لا تحمل الطابع الكوني وإنما هي محلية بدائية .

أما بالنسبة لرسالة سيدنا محمد **صلى الله عليه وآله وسلم** فالوضع يجب أن يكون مختلفاً تماماً ، حيث ان محمد **صلى الله عليه وآله وسلم** خاتم الرسل بالاضافة الى إنه خاتم الانبياء فكما أن نبوته جاءت بشكل متشابه لكي تصلح لكل زمان ومكان فيجب ان تكون لشريعته خاصية ما ، تميزها تماما عن الشرائع التي قبلها وتجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وهذه الخاصية ليست خاصية التشابه (ثبات الشكل وحركة المحتوى) وهذه الخاصية ينطبق عليها

قوله تعالى : [وما أرسلناك الا رحمة للعالمين] الانبياء ١٠٧ ، وقوله تعالى : [قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ..] الاعراف ١٥٨ ، اذن نؤكد في نهاية هذه النقطة على ان تراث الدين المسيحي قد اندثر فلا كتاب يؤثر عن هذا الدين ولا سيرة وتاريخ وما نعرفه وما يعرفه العالم عن السيد المسيح قليل جداً وهذا ما يبرر تجدد النبوات ثم نعرج على الاسلام لنبحث هل الاسلام يعاني من هذه الاشكالية أو لا فنجد أن الاسلام لا يعاني من هذه الاشكالية فتراث الاسلام العقائدي والروحي والأخلاقي والسياسي محفوظ وبتمام تفاصيله ودقائقه لا يشد منه شيء إلا ونحن نعرفه فكتاب هذا الدين لم تمسه الأيادي الأثيمة فلم يستطع من أحد تحريفه , وبقي وبحفظ الله مطهرا عن التحريف [إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] . { الحجر: ٩ }

إن مشكلة الأدبيات الاسلامية والفقه الاسلامي التاريخي – عند أهل السنة وغيرهم من الفرق – الذي هو نتاج الانسان المتعلقة بالشريعة هي انها الى اليوم لم تميز هذه الخاصية لكي تستعملها بيسر وبسهولة وتكون مقنعة لغير المسلم، قبل ان تكون مقنعة للمسلم نفسه بأن محمدا **صلى الله عليه وآله وسلم** ، رسول الله الى الناس جميعاً وهو رحمة للعالمين وان الرسالة صالحة لكل زمان ومكان وفقا للفيض الالهي بتتابع الاوصياء.

إنّ اغفال هذه الخاصية جعل من التشريع الاسلامي تشريعاً متزمتا متحجراً وحجب عنا فهم اسس الشريعة الاسلامية كما حجب عنا فهم السنة النبوية والسنة الرسولية على حقيقتهما حيث ان مفهوم السنة الذي قدمه لنا الفقهاء – من أهل السنة وغيرهم من الفرق الأخرى – هو مفهوم خاطيء تماما، لان فهم السنة مرتبط بهذه الخاصية التي تتيح لنا وضع مفهوم معاصر متجدد دائماً للشرع الاسلامي وللسنة النبوية، وبالتالي وضع أسس متجدد

للتشريع الاسلامي وإعادة النظر بالأسس التي وضعها هؤلاء الفقهاء كالشافعي وأمثاله.

محمود جابر :

- كاتب وباحث مصري.
- ناشط سياسي في اطار اللجنة العربية لمساندة المقاومة الاسلامية في لبنان (لجنة مصرية مستقلة).

الاعمال الفكرية:

- انه حزب الله قصة النشأة والصمود والتحرير. مركز يافا القاهرة.
- ماذا يريد الاخوان المسلمون في مصر. دار عروة.
- الاخوان المسلمون يغتالون امامهم.
- الشيعة البذور والجذور (تحت الطبع).
- الشيعة قضايا معرفية (تحت الطبع).
- حزب الله والحرب العدوانية التاسعة على لبنان (الجزء الثاني من انه حزب الله) يافا للدارسات.
- عشرات الابحاث والمقالات عن المقدسات الاسلامية في الحجاز.
- الدين واشكالية الشر. مجلة الحجة ، الصادرة عن معهد المعارف ، بيروت .
- العديد من المقالات والدراسات في شتى الصحف العربية والمصرية.